جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ ديوانُ الوقفِ الشيعيّ

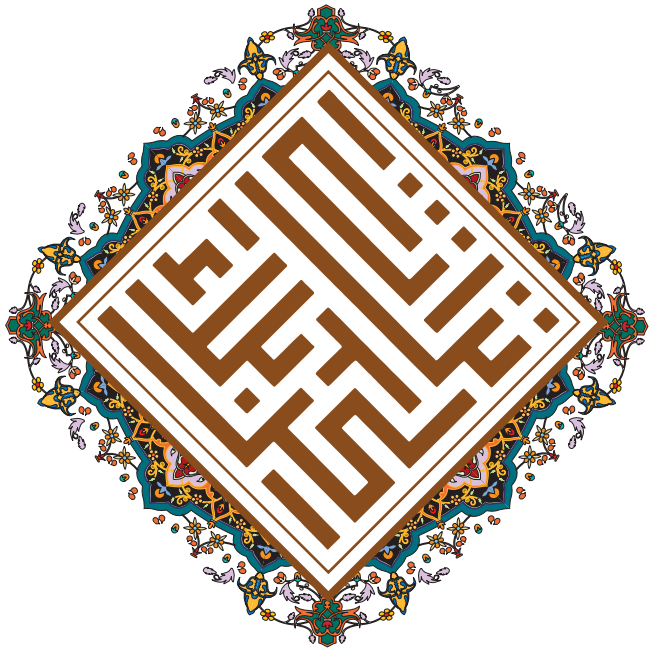

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة العاشرة/ المجلَّد العاشر/ العددان الأول والثاني(٣٥ – ٣٦)

ذو الحجة ١٤٤٤هـ/ حزيران ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٨١٤ No:
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٧ Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في **"مجلة تراث كربلاء"** المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٧	الدليل النقلي عند الشيخ الكفعمي في كتابه: (المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى) وأثره في تعضيد المعنى	أ.م. د غانم كامل سعود- مديرية تربية كربلاء المقدسة/ قسم الإشراف الاختصاصي
٦٧	أَدلَّةُ الاحتجاج النَّحوِيِّ عندَ عبدِ السَّميعِ اليَزْدِيّ الحائريّ (ت بعد ١٢٦٠هـ) في كِتَابِهِ(نَيْلِ المَرامِ وَدُرّ النِّظَامِ) وموقفه منها	أ.م.د محمد نوري الموسوي - جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية. حمزة حسن كاظم - وزارة التربية/ مديريَّة تربية بابل.
٩٥	علاقات الانسجام النصي في رائيّة عزِّ الدِّين حسين بن مساعد الحائري دراسة تحليلية في ضوء لسانيَّات النص	م. د. محمد شمخي جبر - المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

١٢٩	محمد حسن الكليدار آل طعمة (١٩١٣ - ١٩٩٦) دراسة في سيرته ومنهجه العلمي	أ.د. علي طاهر الحلي جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم التاريخ
١٧١	شِعْرُ الشَّيْخِ هَادِي الخَفَاجِيّ الكَرْبَلائِي -دراسة في الأداء الموضوعي-	أ.م.د. فلاح عبد علي سركال-جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية م.د. جواد عودة سبهان- جامعة أهل البيت(ع)/ كلية الآداب - قسم الصحافة
٢٢٩	العتبات النصيّة في كُتب الكفعمي (ت٩٠٥ هـ)	م. د. عاد كامل صابر العبيدي - جامعة كربلاء- كليّة العلوم الإسلامية - قسم اللغة العربية

تحقيق التراث

٢٦٧	ديـوان البغدادي الشـيخ أحمد بن درويش عليّ البغدادي الحائري	تحقيق: د. صباح حسن عبيد د. حيدر فاضل عبَّاس وزارة التربيَّـة – مديريَّة تربية كربلاء
27	Poets of the Tenth Century Hijri in Karbala - Biographies and Samples of their Poetry	Dr. Ammar Hassan Abdul Zahra - Ministry of Education - Karbala Education Directorate

علاقات الانسجام النصي
في رائيّة عزِّ الدِّين حسين بن مساعد الحائري
دراسة تحليلية في ضوء لسانيَّات النص

The Relationships Within The Textual Harmony
In The Raa ʾ Poetic Alphabet Of ʿIzul Dīn Ḥusayn
Bin Musā ʿid Al- Ḥāʾirī.
An Analytical Study In The Lights
Of The Text Linguistics.

م. د. محمد شمخي جبر
المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

By: -
Muḥamad Šamẖī Ǧabur.
The General Directorate Of Ḏī Qār.

السنة العاشرة/المجلد العاشر/العددان الأول والثاني(٣٥ – ٣٦)
ذو الحجة ١٤٤٤هـ/ حزيران ٢٠٢٣م

الملخّص

تعدُّ الدراساتُ النصيةُ مركزَ اهتمام الأبحاث اللغوية الحديثة، فبعدَ أنْ استغرقتْ دراساتٌ كبيرةٌ على مستوى الجملةِ اتجهتْ بوصلةُ الأبحاثِ والدراسات نحو النص، فجاءتْ هذه الدراسةُ في أحد المعاييرِ النصيةِ (الانسجام)، وبواحدةٍ من وسائلهِ (العلاقات الدلالية) في رائية عز الدين حسين بن مساعد الحائري؛ للكشفِ عن مظاهرِ التماسكِ والتلاحمِ فيها، وقد كانتْ الدراسةُ في مبحثين، جاء الأولُ بعنوان (علاقات التبعية)، ووسم الثاني بـ(علاقات الربط)، وانتهى البحثُ بخاتمةٍ فيها أهمُّ النتائج تتبعها قائمةٌ بأهمِّ المصادرِ والمراجعِ التي يمكن الإفادة منها بفكِ شفرة النص وبيان مواطن انسجامه.

الكلمات المفتاحيَّة: الانسجام النصي، حسين بن مساعد الحائري.

Abstract

The textual studies are paid too much interests in the modern linguistics researches. Having been given long period of time in directing the course of the studies in the sentence structure, the text gained greater attention. As a result, this study has been designed to search one of the textual criteria (The Harmony) in one of research methods, the semantic connections in the Rāʾ poetic alphabetic of Al- Ḥāʾirī. Moreover, this study reveals the phenomenon of the textual cohesion in Al- Ḥāʾirī›s poetry.

This research article is composed of two sections. First one is (The Dependent Connections) and the second section is (The Relative Connections). Finally, the research article includes a conclusion of the main results that researcher has reached.

Key Words: (The Textual Harmony, Ḥusayn Bin Musāʿid Al- Ḥāʾirī).

السنة العاشرة/المجلد العاشر/العددان الأول والثاني(٣٥ – ٣٦)
ذو الحجة ١٤٤٤هـ/ حزيران ٢٠٢٣م

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا ونبيّنا محمدﷺ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين أمّا بعد:

فتنماز علاقات الانسجام النصي أنَّها علاقات تكاملية تتآزر فيما بينها؛ لكي تنهض بالنص إلى أعلى درجات التأثير والقبول، وهذه العلاقات لها أهمية كبيرة في فهم النص وتأويله، إضافة إلى المساهمة في ربط أجزاء النص، ونظرًا لأهمية علاقات الانسجام النصي في تحقيق الخاصيّة النصيّة للنص، فقد تمَّ انتقاؤها لتكون محلًّا للبحث؛ لبيان مكامن الجمال وأوجه الانسجام الدلالي في النص الشعري؛ إذ استقرَّ العنوان على (علاقات الانسجام النصي في رائية عزِّ الدِّين حسين بن مساعد الحائري دراسة تحليلية في ضوء لسانيّات النص)، فجاءت الدراسة مكوَّنة من تمهيد ومبحثين وخاتمة فيها أهم النتائج، تحدثت الدراسة عن العلاقات النصيّة الدلاليّة، وعن الشاعر: نسبه، مولده ونشأته وأقوال العلماء فيه، والمبحث الأول جاء بعنوان (علاقات التبعية في رائيةِ حسين بن مساعد الحائري)، وهو في مطلبين: الأول بعنوان (العلاقات المؤهّلة)، والثاني بعنوان (العلاقات المنطقيّة)، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان (علاقات الربط في رائيةِ حسين بن مساعد الحائري)، وهو في مطلبين أيضًا، الأول جاء بعنوان (العلاقات الثنائية الرابطة)، والثاني بعنوان (العلاقات الإضافية الرابطة)، وانتهت الدراسة بخاتمة موجزة فيها أهم النتائج.

التمهيد

أ/ العلاقاتُ النصيّةُ الدلاليّةُ

اهتمــتْ المناهجُ اللغويةُ الحديثـةُ بالعلاقاتِ النصيّـةِ، فالمنهجُ الوصفيُ مثلًا يصفُ دراسـته للغة بأنّها«النظرُ في علاقةِ كلِّ عنصرٍ من العناصرِ اللغويّةِ الداخليـةِ بغيره من العناصر الأخرى المكوِّنـةِ للنظامِ اللغوي؛ لأنَّ أيّ عنصرٍ منها لا قيمةَ له دونَ العناصرِ الأخرى»[١]، والعلاقاتُ الدلاليةُ التي ينسجمُ بها النصُ يطلـقُ عليها بعضُ الباحثين العلاقات النصيّـة، وهي«عبارةٌ عن قضايا معنويـةٍ وتصوراتٍ ذهنيـةٍ مدركة بالعقل، هدفها المسـاعدة في إبـرازِ دلالةِ النص؛ لذا تسعى إلى جمعِ الأجزاءِ المتباعدةِ له، وتحبكُ المضامين، وتحققُ التكامـلَ والتناغمَ بينها»[٢]، والكشـفُ عن هذه العلاقـات يتطلبُ في بعضِ الأحيـان من المتلقي مزيدًا من التأملِ في قراءةِ كلِّ وحدةٍ نصيةٍ وفهمها وبيانِ ارتباطهـا بمضمونِ ما قبلها وبعدها، ويرى الدكتور محمد أبو موسـى أنَّه«إذا قويـت العلاقـةُ بين الجملتيـن اتصلتا فـي ذات نفسـيهما، وتداخلتا وصارتا كالشـيء الواحد، فإذا أدخلتَ الواوَ بينهما فكأنَّكَ عمدتَ إلى جسـمٍ غريبٍ وأقحمته بين الشـيءِ ونفسه، مالم يكنْ لكَ من وراءِ ذلكَ مغزى، وإدراك هذا الضرب من الصلة بين المعاني يحتاجُ إلى مزيدٍ من التأملِ في المعنى ومعرفة جوهـره»[٣]، ومثلما ذكرنا فإنَّ هـذه العلاقات تحتاجُ إلى المزيـدِ من التأملِ

---

(١) العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل: ١٠٠.

(٢) تفسـير أنوار التنزيل وأسـرار التأويل، للبيضاوي دراسـة في ضوء لسـانيات النص، رسالة ماجستير، منتهى مجيد عجيل: ١٠٧.

(٣) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى: ٢٩٥.

والتروِّي؛ لأنَّها علاقاتٌ ليستْ ظاهرةً وغيرَ واضحةِ المعالم، بل إنَّ بعضها يكون عرضةً للاحتمالات؛ إذ يتردّدُ المتلقي أحيانًا في نسبةِ الموقع إلى هذه العلاقة أو تلك؛ لأنَّ كلًّا منهما ممكنة؛ لذا يكون التأويل والتّروي، بل حتى المصاحبة اللطيفة الفيصل في كشف دورها وفاعليّتها في ترابط وحدات النص وتماسك أجزائه[١].

دي بوجراند يؤكِّد على الجانبِ الدلالي فيقول: «النصُّ حدثٌ تواصليٌ يلزمُ لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنصيّة مجتمعة، ويزولُ عنه هذا الوصف إذا تخلّفَ واحدٌ من هذه المعايير»[٢].

والمعاييرُ النصيَّةُ التي حدّدها دي بوجراند هي:

١. الاتساقُ (Cohesion).

٢. الانسجامُ (Coherence).

٣. القصديةُ Intentionality».

٤. المقبوليةُ (Acceptability).

٥. سياقُ الموقفِ، أو رعايةُ الموقفِ (Situationality).

٦. التناصُ (Intertextuality).

٧. الإعلاميةُ (Informativity).

وصُنّفتْ المعاييرُ السبعةُ على ثلاثةِ أصنافٍ وعلى النحو الآتي:

(١) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس: ٢٣٤.

(٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٣٠، وينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند: ١٠٣-١٠٥.

١. ما له صلةٌ وثيقةٌ بالنصِ، ويشمل معياري، الاتساق والانسجام.

٢. ما يتصلُ بمستعملي النص (المنتج، والمتلقي) على حدٍ سواء، وهما معيارا القصد والقبول.

٣. ما يتصلُ بالسياقِ المادي والثقافي المحيطِ بالنص، وهذه المعايير هي الإعلاميةُ، والمقاميةُ، والتناص[١].

وستكون نقطةُ البحثِ في المعيارِ الثاني الانسجام (Coherence)، الذي له صلةٌ وثيقةٌ باستمرارية النص، وقد اتخذَ الباحثُ من تصنيفِ (يوجين نايدا) منهجًا في تطبيقِ العلاقاتِ الدلاليَّةِ على رائيّة عزّ الدِّين حسين بن مساعد الحائري؛ إذ جعلها في صنفين هما: أ/ علاقاتُ الربطِ. ب/ علاقاتُ التبعيةِ.

ثم قسَّمَ كلَّ صنفٍ على قسمين، فعلاقاتُ الربطِ تنقسمُ على علاقاتٍ إضافيةٍ، وعلاقاتٍ ثنائيةٍ، في حين تنقسمُ علاقاتُ التبعيَّةِ على علاقاتٍ مؤهّلةٍ، وعلاقاتٍ منطقيةٍ، وتندرجُ داخلَ هذا التقسيم تسع عشرةَ علاقةٍ دلاليةٍ[٢] وسيقومُ البحثُ بالكشفِ عن هذه العلاقات وبيانِ مظاهرِ التماسكِ فيها.

ب/ إضاءةٌ عن الشاعرِ:

نَسَبُهُ ونشأته ووفاته:

هو السيدُ عزّ الدِّينِ حسين بن مساعد بن حسن بن مخزوم بن أبي القاسم طوغان بن أبي عبدِ الله الحسين المقري بن محمد بن عيسى بن طاهر بن محمد بن أبي الحسن المعروف بابن هيفا بن محمد بن أحمد الناصر بن أبي الصلت يحيى بن أبي العباس أحمد بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة

(١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٧٦.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد: ١٤٣.

بـن زيد بن الإمـام زين العابديـن عليه السلام الحائري؛ السـيد الجليل العالـم الفاضل النسّـابة؛ كان جليلًا من أفاضل عصره؛ نابغة في الأدب له شعر في مدح آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وهو متضلِّع من علم الأنساب، ألَّف كُتبًا؛ منها: تحفةُ الأبرارِ في مناقب أبي الأئمةِ الأطهار، وله تعليقةٌ وحواشٍ على عمدة الطالب[١].

ولدَ في مدينةِ كربلاءَ المقدسـة، وكانَ لهذه المدينة الأثرُ الأكبرُ في نشـأتهِ نشأةً علميةً صالحةً؛ إذ كانتْ المدينةُ في عصرهِ حافلةً بالعلمِ والعلماءِ، فكان لهـم الأثرُ البارزُ في تكوينـه العلمي والمعرفي، فضلًا عن ذلـك قابليَّته على حفـظ عيونِ الشـعر العربي وأحاديث الرسـول صلى الله عليه وآله وأقـوال آل بيته عليهم السلام؛ الأمر الذي جعله يقول الشعرَ في فنونه وأغراضه كلّها، ولم تُعرَفْ سنةُ ولادته، وقد اختُلِفَ في سنةِ وفاته، فمنهم مَنْ ذكرَ سنةَ وفاته ٩١٠هـ، وقيل إنَّ وفاته كانتْ بعدَ سنةِ ٩١٧هـ[٢].

أقوالُ العلماءِ فيه:

المتأمـلُ في كتبِ التاريخِ والأنسـابِ يجـد كثيرًا من الأقـوال التي قيلت بحقِ حسـين بن مسـاعد الحائري، ومِنْ هذه الأقوال ما نجـده في كتابِ أملِ الآمـل للحـر العاملي؛ إذ يقول: «السـيدُ الحسـينُ بن مسـاعد الحائري كان فاضلًا صالحًا، له كتابُ تحفةِ الأبرار في مناقبِ الأئمة الأطهار حسـنٌ، وغير ذلك»[٣]، وترجمَ له السيد جواد شبر في كتابهِ أدب الطف، فذكره بقوله: «هو السـيِّدُ النسَّـابةُ من أجلَّة العلماءِ وأكابر الفضلاء الشـاعرُ الأديبُ حسـين بن مساعد بن مخزوم بن أبي القاسم»[٤].

(١) ينظر: منية الراغبين في طبقات النسابين، عبد الرزاق كمونة: ٤٢٧.
(٢) ينظر: مجالي اللطف بأرض الطف، محمد بن طاهر السماوي: ٦٨.
(٣) أمل الآمل، الحر العاملي: ٢/ ٧٦.
(٤) أدب الطف، جواد شبر: ٥/ ٢٢.

شعره:

بعدما حَفِظَ الأحاديثَ النبويةَ الشريفة، وأقوالَ الإمام علي عليه السلام والشعر العربي أصبحتْ لديه القدرةُ على كتابةِ الشعر، فقد«عُرفَ منه بقوةِ الذاكرة واستحضارِ الحجةِ وخفةِ الروح، فشعره جزلٌ، منسجمُ الألفاظِ، عذبُ العبارةِ، حسنُ الاستعارة، جيدُ التشبيه، مشبوبُ العاطفة»[1].

له قصيدةٌ في مدحِ آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وقد جارى فيها صالح بن العرندس وهي (محل الدراسة) وتبلغ ستةً وثلاثين بيتًا يقولُ في مطلعها[2]:

لطيّ قريضي في مديحكم نشر ومنشور شعري في علاكم له نشر

وهي من البحر الطويل، وله قصيدةٌ أخرى في رثاءِ أهل البيت عليهم السلام ويذكر مآثرهم وفضائلهم يقولُ في مطلعها[3]:

قلبي لطول بعادكم يتفطّر ومدامعي لفراقكم تتقطّر

وإذا مررتُ على معاهدكم ولا ألفي بها من بعدكم من يخبر.

(١) السيد حسين بن مساعد الحائري، د. سلمان هادي آل طعمة، بحث، مجلة ينابيع، عدد: ٦٤، ٢٠١٥م: ١٠١.

(٢) أعيان الشيعة: ٦/ ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه.

المبحثُ الأول: علاقاتُ التبعيَّة في رائيةِ حسين بن مساعد الحائري

المطلب الأول/ العلاقاتُ المؤهلةُ:

أولًا: علاقةُ الإجمالِ والتفصيلِ: تُعدُّ مِن أبرز العلاقاتِ الدلالية التي ارتبطَ وجودُها بوجودِ الشعر، وقد ركَّزَ عليها علماءُ النصِ؛ إذ تَضمنُ اتصالِ المقاطع النصيَّة ببعضها؛ بفضلِ ما تمنحه هذه العلاقة مِن استمراريةٍ دلاليةٍ بينَ مقاطعِ النص[١] وهي«إيرادُ الكلام على وجهٍ يحتملُ أمورًا متعددةٍ، والتفصيلُ تعيين بعضَ تلك المحتملات، أو كلّها»[٢]، أو بمعنى آخر«الإجمالُ هو الكلامُ الذي يأتي به المتكلمُ في صورةٍ عامةٍ موجزةٍ قصد تبليغ رسالته إلى المتلقي، في حين أنَّ التفصيلَ هو تخصيصُ وتفسيرُ الكلام الذي أتى مجملًا»[٣]، والمتأمّلُ في التراثِ العربي يجد هذه العلاقة متأصّلةٌ فيه، إذ أشارَ البقاعيُ إليها بقوله: «وتصنيفُ الناسِ في آخرِ الفاتحة ثلاثة أصناف: مهتدين ومعاندين وضالين، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة: متقين وكافرين مصارحين، وهم المعاندون، وضالين وهم المنافقون، وإجمالهم بالفاتحة، وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب، وهو دأبُ القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل»[٤]، وقيَّد بعضُ الباحثين هذه العلاقة بقرينةٍ، فمنهم من قيّدها باستعمال (الفاء) العاطفة الدالة على الترتيب الذكري[٥]، ومنهم مَنْ جَعلَ التفصيلَ بمنزلة البدل عن

(١) ينظر: أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم: ١٢٦.
(٢) التعريفات، الجرجاني: ١٠.
(٣) لسانيات النص القرآني، دراسة تطبيقية في الترابط النصي، عبد الله خضر حمد: ١٩١.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ١/ ١٠٢.
(٥) ينظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم: ١٨٤.

الإجمال[1]، وعلاقةُ الإجمالِ والتفصيلِ غالبًا ما تسيرُ في اتجاهين؛ فهي لا تسلكُ سبيلَ المجمل المفصّل دائما؛ بل قد تتحوّلُ عكسَ ذلك، فيتقدَّم المفصّلُ على المجملِ؛ لتحقيق غرض التشويقِ والعناية؛«لأنَّ للإجمالِ بعدَ التفصيلِ وقعًا من نفوسِ السامعين»[2].

ومِنْ مصاديق هذه العلاقة في القصيدةِ الرائيةِ (محل الدراسة) قول الشاعر:

وكادتْ تروحُ الروحُ مني تأسّفًا بذكرِ مصابٍ كلّما دونه نزرُ
مصاب رسول الله في آله الأُلى تقاصرَ زيدٌ عن علاهم كذا عمرو

في رحابِ الحزنِ والجزعِ والأسى على مصابِ آل بيت النبيعليهم السلام يصوّرُ لنا الشاعرُ حالةَ الحزنِ التي مرَّ بها؛ إذ وصلَ به الحالُ لمرحلةِ الموت حزنًا وألمًا لمقتلِ العترةِ الطاهرة، وقد تمثَّلَ الإجمالُ بقوله (بذكر مصاب)؛ إذ وردتْ لفظةُ (مصاب) نكرة مبهمةً غامضةً، ولعلَّ الشاعر يريدُ بهذا إنكار العمل الذي قامتْ به الفئةُ الضالةُ، وهذا الإبهامُ والغموضُ«يوقعُ السامعُ في حيرةٍ وتفكّرٍ واستعظام، لِما قرعَ سمعه، فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق إلى معرفته والاطلاع على كنه حقيقته»[3]، ثم بعدَ هذا الغموض يأتي التوضيحُ والتفسيرُ لهذا المجمل، وكأنَّ سائلًا سأل ما هذا المصاب؟ فجاءتْ الإجابةُ لتفصّل ما أجمله الشاعرُ، (مصاب رسول الله في آله الأولى) فالمصابُ هو مصابُ رسول الله صلى الله عليه وآله في قتل عترته الطاهرة، ثم بعدَ ذلك أخذَ يوضّح أنَّ هذه العترة الطاهرة من المكانة والعلو والشرف؛ إذ يصعب على عامة الناس أن تصل إليهم، والذي يبدو للباحث أنَّ هذه العلاقة أعطتْ رؤيةً واضحةً عن مصابِ رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته الطاهرة.

(١) ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، محمد محمد يونس علي: ١٣٩.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١/ ٣٠٢.
(٣) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٢/ ٤٤.

ومن هذه العلاقة قول الشاعر:

أئـمّـة هـذا الـخـلـق بـعـد نـبـيّـهـم بـنـاة العلى قـد طـاب مـن ذكـرهـم ذكر
هـم التين والـزيـتـون هـم شافعو الـورى هـم الـسـادة الأطـهـار والـشـفـع والـوتـر
هـم مهبط الـوحـي الـشـريـف وهـم غـدًا سقاة الـزلال الـعـذب مَـنْ ضمّه الحشر

شَـكَّل البيتُ الأول (أئمة هذا الخلق) نواة ثقل النص؛ إذ جاءَ مجملًا، فما حقيقتُهم؟ ومـا أوصافُهم؟ ثم بعدَ ذلك يأتي التفصيـلُ في بقية الأبيات، فقد قامَ الشاعرُ بذكر حقيقة أئمة هذا الخلق ومناقبهم؛ فهم:

١. بناةُ العلى

٢. التينُ والزيتون

٣. شافعو الورى

٤. السادةُ الأطهار والشفعُ والوتر

٥. سقاةُ الزلال العذب مَنْ ضمه الحشر.

ومن هنـا تظهـرُ أهمية علاقـة الإجمال والتفصيـل في تماسـكِ الأبيات اللاحقـة للبيـت المجمـل؛ إذ«يجب أن يـردفَ البيتَ الأول مـن الفصل بما يكـون لائقًـا به من باقي معاني الفصل، مثل أن يكـون مقابلًا له على جهة من جهات التقابل أو بعضه مقابلًا لبعض، أو يكون مقتضى له مثل أن يكون مسبِّبًا عنـه، أو تفسـيرًا له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض مـا في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر، وكذلك الحكم في ما يتلى بـه الثاني والثالث إلى آخر الفصـل»[1]، وإذا ما عدنا إلى النص نجد المجملَ المتمثّـل بلفظة (أئمّة هذا الخلق) ثـم تفصيل هؤلاء الأئمة مبتدئًا بقوله: أنَّهم

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني: ٢٩٠.

(بنـاة العلى)، لا شـيءَ أفضل من ذكرهم، ويوضّح بعدَ ذلـك بألفاظٍ متوازيةٍ متسـقةٍ اتسـاقًا صوتيًّا هيأتهم وحالهم، فيذكر بعضَ صفاتهـم المذكورة آنفًا، وهـذه التفصيلات أسـهمتْ فـي توضيحِ المجمـل في البيـت الأول (أئمة) لدى المتلقي، مما أسـهم في ترابط النص واستمراريَّته. فهذه العلاقة جعلتْ المتلقي متشوِّقًا يرتقب ليربط أجزاء النص بعضها ببعضها الآخر.

ونلمسُ هذه العلاقة أيضًا في قول الشاعر:

بـني أحـمـد سيـقـت إلـيـكـم قـصـيـدة مـهـذّبـة ألـفـاظـهـا الـــدرر الـغـر
حـسـيـنـيّـة تـزهـو بـكـم حـائـريّـة مـنـزّهـة عـمـا يـعـاب بـه الـشـعـر

المتأمل في البيتين السـابقين يجد الإجمـالَ يدورُ حولَ لفظة (قصيدة) ثم جاءت بعـده العباراتُ والجملُ؛ لتكوِّن حشـدًا من الدلالات فـي بناءٍ نصيّ متميّز يقوم على مبدأ الترابط والانسـجام، فالشـاعرُ يقوم أولًا بمناداة آل بيت محمـدﷺ بأنَّ قصيدة ما قد قيلت في حقكم ترثي الحسـينعليه السلام ومن ثَمَّ يمدح قصيدتـه بمجموعة من الألفـاظ تفصّل ما جاءَ مجملًا، ولعـلَّ هذا اللون من المدح موجود عند كثيرٍ من الشعراء، فلو تصفحّنا ديوانَ أي شاعرٍ من الشعراء الفحـول؛ لوجدنا أنَّ هذا اللون (أي مدح الشـاعر قصيدته) مبثوثًا في ديوانه، ونجـده يكثر عند البحتـري، والمتنبي وغيرهم[1]، وقد يكـون المراد من هذا المـدح دلالات؛ منها أنَّ هذه القصيدة بألفاظهـا المهذّبة وكأنَّها أحجارٌ ثمينةٌ بيضاء لا تليق إلَّا بكم آلَ محمد؛ فهي قصيدةٌ حسـينيةٌ كربلائيّة تحكي ما دارَ يـوم الطف على العترةِ الطاهـرة، وهذه القصيدة تختلفُ عـن باقي القصائد؛ فهي خاليـةٌ من عيوبِ الشـعر جميعها، فمن خلال هـذه التفصيلات يتحققُ

(١) ينظر: شعر الحافظ رجب البرسي (دراسة في الموضوع والبنية)، مها هلال، ونضال حسن، بحث: ٢٥٨.

الترابطُ والانسجام النصي بفضلِ العلاقة القائمة مع الألفاظ المجملة؛ لأنَّ هذه الألفاظ تتناسلُ منها معانٍ ومدلولات لابدَّ من تفصيلها حتى يتمكن المرسلُ إليه من فهم المراد من الرسالة[١].

وممَّا تقدّم عبر النماذج السابقة ينتهي الباحثُ إلى أمر مفاده أنَّ وظيفةَ الإجمالِ والتفصيل في النصوص، تؤدي غرضًا تفسيريًا من المرسِل ذاته؛ لكي يخرج المتلقي من دائرة التأويل والافتراض المنطقي والاحتمال الدلالي هذا أولًا، أما الغرض الثاني، فيتضمن ربط النصوص ربطًا متماسكًا، والوظيفة الثالثة هي التشويقُ للتفاصيل؛ للعناية والاهتمام بالعام، وتهيئة المخاطب للدخول في التفاصيل دون تشتيت ذهنه[٢].

ثانيًا: علاقةُ السؤالِ والجواب: إحدى العلاقات الدلاليّة ذات وظيفةٍ جوهريةٍ في ربطِ نسيجِ الحوار داخل النص، وهي تسهمُ في ربطِ أول خيط للنص بآخره، وتتمظهرُ هذه العلاقة بوساطة أدوات الاستفهام (أي، أين، متى، من، ما، هل، الهمزة)[٣]، وقد تأتي من خلال سؤالٍ مقدَّرٍ فإنَّ«من دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق وجود سؤالٍ مقدَّرٍ غير متجلّ في سطح الخطاب، والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناءُ الخطاب على شكلِ زوجٍ مكون من سؤال مقدّر/ جواب ظاهر... إذ يساهم زوجُ الاستفهام المقدَّر/ الجواب في جعل الكلام متصلًا بعضه ببعض دون وجودِ رابطٍ شكلي، وهو وسيلةٌ قويةٌ من حيث الربط»[٤].

---

(١) ينظر: أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، سوداني عبد الحق: ١٠٤.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: ١٤٠، وعلم اللغة النصي، الفقي: ٢/ ١٨٥.

(٣) ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجًا، ليندا قيّاس: ١٥٠.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٠٩.

وترتبطُ العنايةُ بهذه العلاقة بأمور متعددة منها:

١. أنَّها تترك أثرًا جماليًا من خلال السؤال الذي يُعدُّ أساس المعرفة.

٢. أنَّ هذه العلاقة مشتملةٌ على سلطةٍ إقناعيةٍ تنفذ إلى ذهنِ المتلقي ووجدانه، فمن وظائفها: (الحوار، والإقناع، وإزالة الغموض).

٣. أنَّ هذه العلاقة تُعد من الخطابات التوجيهية التي تحفّز المخاطَب للتلفّظ بخطابه[١].

وقد آثر الباحثُ أنْ تكون دراسة هذه العلاقة على السؤال المقدّر لا الأسئلة التي تُستخدم فيها أدوات الاستفهام؛ كونها واضحة المعالم، فضلًا عن أنَّ السؤالَ المقدّرَ يكون أكثرَ قوة في ترابط النص وتماسكه، ومن صور ورودها في قصيدةِ حسين بن مساعد الحائري قوله:

بهم سألَ اللهَ الخليلُ وناره تأجج غيظًا فانطفى ذلك الجمرُ

والسؤالُ المقدّر الذي يحيل إليه الخطابُ في هذا البيت (بِمَ سأل اللهَ الخليلُ؟)، فكان الجوابُ بمحمدٍ وآل بيت محمدﷺ سألَ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ربَّه؛ ليخلِّصه من هذه النار، فالضمير (هم) في بداية البيت قد أحالَ إلى العترة الطاهرة، وقد اقتبسَ الشاعرُ من قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩]؛ ليبيّنَ مكانتهم عندَ الله سبحانه وتعالى، فبهم أصبحتْ النارُ بردًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد تعاضدتْ علاقةُ السؤال والجواب مع علاقةِ السبب والنتيجة؛ لتضفي على النص جمالًا وتماسكًا، فبسبب سؤالِ سيدنا إبراهيم وتضرّعه لله سبحانه وتعالى بمحمدٍ وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، كانت النتيجة أنْ جعلَ اللهُ النارَ

(١) ينظر: آيات القول دراسة في ضوء لسانيات النص، كاظم داخل جبير، أطروحة دكتوراه: ١٧٦-١٧٧.

التي أوقدها الكافرون بردًا وسلامًا، ويلحظ في عجز البيت أنَّ الشاعرَ قد استأنف جوابه بالفاء (فانطفى)، «لإفادة السامع معلومة تزيلُ الغموضَ الذي أدى إلى حاجته إلى السؤال»[١].

وممَّا نحنُ في سبيله قوله:

وقفتُ على المغنى الذي كنتم به حلولًا ومغناكم وقد بنتم قفرُ

يتكّلمُ الشاعرُ عن المساكن التي كانوا يشغلونها، وكيف كانتْ عامرةً بالحياة، وكأنَّه يقفُ على أطلال هذه البيوت التي لم يبقَ منها إلَّا جدرانُها، فقد أصبحتْ خالية من أهلها، ويُعدّ صدرُ البيت جوابًا لسؤالٍ مقدّرٍ (أين وقفت؟)، فجعل الشاعرُ نفسه كأنَّه يجيبُ عن هذا السؤال بقوله: (وقفت على المغنى الذي كنتم به)، وقد أظهرتْ علاقةُ السؤال والجواب في البيتِ الشعري حسرةَ الشاعر وتوجّعه لِما حدثَ لآلِ بيت الرسول ﷺ، فقد اعتمدَ السياق الخارجي للربطِ بينَ الأحداثِ داخلَ النص؛ إذ أحالَ النصُ إلى عنصرٍ خارجي وبذلك تكون علاقة السؤال والجواب علاقةً دلاليةً تعملُ على ربط الأحداث داخل النص، فتسهم في تماسكه وانسجامه، وهي مِن العلاقات التي تعتمدُ السياق والقضايا الاجتماعية في ربط النص[٢].

المطلبُ الثاني: العلاقات المنطقية:

وهي من العلاقات التبعية وتندرج تحتها العلاقات الآتية:

١-المسبب الأثر

٢. السبب- النتيجة.

٣. الوسيلة – النتيجة.

---

(١) الفصل والوصل في القرآن الكريم، منير سلطان: ١٠١.

(٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل: ٢٠٨.

٤. الوسيلة – الغرض.

٥. الشرط – الجواب.

٦. الأساس – التحقق.

٧. المفترض – النتيجة[١]، وسيقتصر هذا المبحث على علاقة الشرط والجواب في القصيدة الرائية.

علاقة الشرط والجواب

علاقة الشرط والجواب هي من العلاقاتِ الدلاليّةِ النصيّةِ التبعيّةِ المنطقيّةِ، وتتمظهرُ في المذهبِ الكلامي؛ «إذ يوردُ المتكلمُ حجةً لِما يدَّعيه على طريقِ أهلِ الكلام، كقوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» [الأنبياء: ٢٢]، وتتجلّى هذه العلاقة أيضًا، ولكن على طريقةِ الشعرِ خاصة في فنِ المزاوجة؛ إذ يزاوجُ فيها بينَ معنيين في الشرط»[٢]، وهذه العلاقة«تعتمدُ على معرفةٍ بالعالمِ أو الإطار الذي يتمُّ التعبير فيه لا بدَّ أنْ تتوفر لدى السامع والمتلقي، فيستطيع عن طريقها أنْ يشتقَّ مجموعةً من العبارات الضمنيةِ الخاصة التي يستقيمُ بها تسلسلُ المتتاليةِ النصية»[٣]، وتتمُّ هذه العلاقة غالبًا باستخدامِ أدواتٍ تسمى أدوات الشرط، ومن هذه الأدوات: (من، وما، ومهما، وأي، لو، ولولا، وإن، وإذما، ولما، وأنى، ومتى، وإذا، وحيثما)، وهذه الأدوات هي«روابطُ بينَ الجملِ داخلَ النص، والروابطُ هذه علاماتٌ على علاقاتٍ تكون بين الجُمَل»[٤].

---

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٤.

(٢) البديع بين البلاغة واللسانيات النصية: ١٦٥.

(٣) التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، إبراهيم محمد عبد الله مفتاح: ١٨٢.

(٤) نسيج النص، الأزهر الزناد: ٢٥.

وقد وردتْ هذه العلاقة في القصيدة (محل الدراسة) في قوله:

ويعقوب لمّا أن توسّل سائلا بهم جمعته مع أحبته مصرُ

يُلحظ من البيتِ الشعري أنَّه تناص مع قصةٍ واردةٍ في القرآن الكريم وهي قصةُ سيدنا يعقوب عليه السلام وما حدثَ لابنه النبي يوسف على نبينا وآله وعليه السلام، فقد قام إخوةُ يوسفَ برميه في البئر؛ حسدًا له لقربه من أبيه؛ لذا كان وقْعُ هذا الحدث كبيرًا على سيدنا يعقوب على نبينا وآله وعليه السلام؛ إذ ابيضّتْ عيناه من الحزن على فراقِ ولده، وهنا توجه لربّه سائلًا متضرّعًا بمحمدٍ وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

والذي يبدو من النص المذكور آنفا أنَّ علاقةَ الشرط والجواب وردتْ في بنيةٍ لغويةٍ اتسمتْ بوجودِ الشرط المتمثّل في قول الشاعر (لمّا أنْ توسّل سائلًا) فلا شكَ ولا ريبَ أنَّ التوسُّل والتضرُّع بآل بيت محمدٍ – صلوات الله عليهم أجمعين – مما يعجّلُ استجابةَ الدعاء، فكان الجواب أنْ جمعَ اللهُ سبحانه وتعالى سيدنا يعقوب –على نبينا وآله وعليه السلام– بولده يوسف عليه السلام، بل الاجتماع كان بكل أحبته في مصر، ويظهرُ في النص السابق ترابط العبارتين فيما بينهما، فالظروفُ المنسوبةُ إليهما في التأويل مترابطةٌ فيما بينهما؛ لأنَّ موقف سيدنا يعقوب عليه السلام وما جرى عليه يدعمُ التعالق مع الجواب الذي حصلَ عليه بعد الدعاء.

ويمكن رصد هذه العلاقة أيضا في قوله:

وأيوب في بلواه لما دعا بهم شفاه من البلوى وفارقه الضر

يفصح هذا البيت الشعري عن أكثر من علاقةٍ نصيّةٍ، فهو يكشفُ عن علاقة الشرط بالجواب، وعلاقة السبب والنتيجة، فضلًا عن ذلك علاقة التناص القرآني مع قصة سيدنا أيوب على نبينا وآله وعليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وثنائية الشرط والجواب تمثلت بدعاءِ النبي أيوب -على نبينا وآله وعليه السلام- الذي كان سببًا في شفائه من المرض، ولعلَّ الشاعرَ هنا أرادَ من المتلقي أنْ ينسج الأسبابَ المؤدية للنتائج، وهي براعةٌ فنيةٌ لدى الشاعر في صوغِ صورٍ فنيّةٍ تمكّنه من جعل الشرط الذي سطره يكون جوابين، فحين دعا النبيُ أيوبُ -على نبينا وآله وعليه السلام- وتضرع بآل بيت محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- كان الجواب الأول أن شفاه من بلاء المرض الذي حلَّ به واستمر قرابةَ خمس عشرة سنة، أمَّا الجواب الثاني فقد كان بذهاب الضر عنه.

ومن مصاديق هذه العلاقة أيضًا قوله:

سأبكيه ما دامَ الدوام فإن أمت بكاه لعمري بعدي الشعرُ والنثرُ

يلحظُ من البيت الشعري علاقةَ الشرطِ والجواب في إطارِ البنيةِ الكليّةِ للقصيدةِ، وهي الرثاءُ؛ لذا شكلتْ هذه العلاقة سلسلةً من الدلالات؛ منها إظهارُ شدّة الحزن ودوامه، فالشاعرُ يبدأُ البيتَ الشعري بلفظةِ البكاء الدالة على الحزنِ غالبًا، وهذا البكاءُ لا ينقطعُ ما دامت حياته، ثم تأتي أداة الشرط (إنْ) لتربطَ بينَ جملة الشرط (أمت) وجوابه (بكاه لعمري بعدي الشعر والنثر)؛ فالحزنُ مستمرٌ والبكاءُ والرثاءُ باقٍ حتى بعد ممات الشاعر، فكثيرٌ من الشعراء والكتّاب سيقومون برثاء الإمام الحسين عليه السلام، فالبكاءُ لا ينقطعُ والمراثي مستمرة.

وقد تأتي هذه العلاقة خلاف النمط المعتاد، فقد يتقدّم الجواب على الشرط ومن ذلك قوله:

وأنَّ سُلوي للمصابِ محرمٌ بعيدٌ إذا هلَّ المحرمُ والعشرُ

فنسيانُ مصيبة الحسين عليه السلام وما حلَّ به في محرَّمِ الحرام عند الشاعر يُعد من المحرّمات؛ بل يزداد حزنًا وألمًا كلّما حلَّ هذا الشهر، وبالأخص يوم العاشر منه، وقد ربطت أداة الشرط (إذا) جملتي الجواب (سلوي للمصاب محرم)، بالشرط (هلَّ المحرم والعشر)، وكانَ للجناسِ التام المتمثل بلفظة (محرم) الأثر الواضح في انسجام النص وترابطه، فلفظة (محرم) في صدرِ البيت تعني حرام عليَّ نسيان المصاب، أما لفظة (المحرم) فتعني شهر المحرم الحرام الذي شَهِدَ مصيبة الحسين عليه السلام.

مما سبقَ يمكن القول: إنَّ علاقةَ الشرط والجواب من علاقات الانسجام الدلاليّة الاستدعائيّة الأساسيّة المهمّة في ربطِ أجزاءِ النص ببعضها، تعمل على تماسك عناصر النص؛ من خلال ربط الجُمَل فيما بينها الأمرُ الذي يشكّل عناقيد من الدلالات، ويسهمُ في ترابطِ النصوص ودوام استمراريتها.

المبحثُ الثاني: علاقاتُ الربطِ في رائيةِ حسين بن مساعد الحائري

المطلبُ الأول: العلاقاتُ الثنائيةُ الرابطةُ:

علاقةُ التقابل:

وهي من العلاقاتِ النصيّةِ الدلاليَّةِ الثنائيَّةِ التي تربطُ بينَ طرفَيْن، أو حدثَين متقابليَـن، وعرَّفهـا القزويني بقولـه: «أنْ يؤتـى بمعنيين متوافقيـن، أو معانٍ متوافقـة، ثم بما يقابلهمـا، أو يقابلها على الترتيـب»[1]، والمتأمّلُ في التراثِ العربـي يجد هذه العلاقة لاقتْ كثيرًا من الاهتمام والعناية من علماءِ البلاغةِ، فقد ذكرهـا القرطاجني بقوله: «إنَّمـا تكون المقابلةُ في الـكلام بالتوفيقِ بينَ المعاني التي يطابـقُ بعضُها بعضا، والجمعُ بينَ المعنيْين اللذين تكون بينهما نسـبة تقتضي لأحدهمـا أنْ يُذكَر مع الآخر مـن جهةِ ما بينهما مـن تباينٍ، أو تقـاربٍ على صفة من الوضع تلائم بها عبارةُ أحدِ المعنيْين عبارةَ الآخر، كما لاءَمَ كلا المعنييـن في ذلك صاحبه»[2]، وتُعدُّ هذه العلاقة من العلاقاتِ التي عن طريقها يتم تشكيل قضايا كبرى في مستويات النص المتتابعة، فهي تجمعُ بيـنَ قضيتين صغيرتين؛ لتكون قضيـة كبرى، وهي تعملُ علـى إبراز المعنى وبلورته؛ الأمر الذي يؤدي إلى تناسـبه[3]، ويلحظ في هذه العلاقة أنَّها الأكثرُ حضـورًا في نصوصِ القصيـدة (محل الدراسـة)؛ إذ وردتْ تقريبًا في أغلبِ أبيـات القصيدة، ولعلَّ الشـاعرَ اسـتعمل هذه العلاقة؛ لإظهـارِ مدى الحزنِ والألم لمصابِ الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢٥٩.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجنّي: ٥٢.

(٣) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٤٢.

وقد استعمل الشاعرُ هذه العلاقة في مطلعِ قصيدته رغبةً منه في تصعيد المعنى، وصولًا به إلى بنيته الكبرى المتمثلة بالرثاء؛ إذ يقول:

لطيٌّ قريضي في مديحكم نشرُ ومنشورُ شعري في علاكم له نشرُ

طيُّ القريض هو كتمانُ الشعر، لكنَّه في مديح آل بيت محمدٍ ﷺ سيكون مُذاعًا لا كتمانَ له، وقد استخدم الشاعرُ علاقة التضاد لإظهار حبه لآل البيت ﷺ، فلفظةُ الطيّ تتضاد مع لفظةِ النشر، وفي هذا يقول القرطاجني «يجبُ على مَنْ أرادَ حُسْنَ التصرفِ في المعاني، بَعدَ معرفةِ ضروبها التي أجملت ذكرها، أنْ يعرفَ وجوه انتساب بعضها إلى بعض، فيقول: إنَّه قد يوجد لكل معنى من المعاني التي ذكرتها معنى أو معان تناسبه وتقاربه، ويوجد له أيضًا معنى أو معانٍ تضاده وتخالفه، وكذلك يوجد لمضاده في أكثرِ الأمر معنى أو معانٍ تناسبه»[1]، وكان لظاهرة التصريع التي استخدمها الشاعر أثرٌ في جَمال النص وتلاحمه.

والتصريعُ هو اتفاقُ صدرِ البيت وعجزه في رويٍ واحد[2]؛ إذ استعمل لفظة (نشر) في نهاية صدر البيت وعجزه، وقد خالف في المعنيَيْن، فلفظة (نشر) الأولى تعني الإظهار والإبانة والوضوح، في حين كانت الثانية تعني الرائحة الطيبة الزكية، وقد جَمَعَ الشاعرُ بينَ معنَيْين متضادتَيْن؛ لتضفي على النص فعاليةً عميقةً تجعلُ المتلقي يتتبع الألفاظَ المتقابلةَ المتضادة، والوقوف عند مقاصدها، وبذلك يكون النصُ الشعري متماسكًا يربطُ بين الشاعرِ والمتلقي.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤.
(٢) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي: ٢/ ٢٧٨.

ومن مصاديق هذه العلاقة قوله:

فوصلكم روحٌ وراحٌ وراحةٌ وبعدكم موتٌ وقربكم نشرُ

الوصلُ ضد الهجران، وهو خلافُ الفصل[1] وهذا الوصل مع آل بيت محمدعليهم السلام يكون سببًا في الرحمةِ والفرجِ والارتياح وطمأنينة النفس وخلوها من الهم، يقابله البعد عنهم هو الموت، فضلًا عن ذلك المتقابلات في عجز البيت المتمثلة (بعدكم موت، وقربكم نشر)، فقد تقابلتْ المتضادات (البعد، القرب)، (الموت، النشر) لتجعل من النص أكثرَ قوةً وترابطًا، فهي تُسهم في استحضارِ المعاني فنلحظ أنَّ الشاعرَ جَمَعَ بينَ صورتَيْن متضادتيْن هما: صورة القرب من آل بيت الرسول -صلوات الله عليهم- الذي ينتجُ عنه الرحمةُ والراحةُ والطمأنينةُ، مع صورة البعد عنهم الذي ينتج عنه الموتُ في كلِّ شيء، «فإذا أردتَ أنْ تقارنَ بينَ المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها، فانظرْ مأخذًا يمكنك معه أنْ تكوِّنَ المعنى الواحد وتوقعه في حيّزين، فيكون له في كليهما فائدة، فتناظرْ بينَ موقع المعنى في هذا الحيّز وموقعه في الحيّز الآخر فيكون من اقترانِ التماثل، أو مأخذًا يصلحُ فيه اقتران المعنى بما يناسبه، فيكون هذا من اقتران المناسبة، أو مأخذًا يصلحُ فيه اقتران المعنى بمضادّه فيكون هذا مطابقةً أو مقابلةً»[2]، فعلاقةُ التقابل بما لها مِنْ استحضارِ المعاني والدلالات، كذلك لها الدورُ المهمُ في إظهارِ مدى عمق مشاعر الشاعر وحبّه وتعلقه بمحمدٍصلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهارعليهم السلام.

ومما نحنُ في سبيله قوله:

وظاهرُ شعري فيكم المدح والثنا وباطنه يا سادتي الحمدُ والشكرُ

يلحظ من البيت الشعري أنَّ هناك علاقةً نصيةً دلاليةً تقابليةً تَرابطَ بها

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٧٢٦.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤-١٥.

النـصُ انسـجامًا؛ إذ أحدثَ نوعًا مـن المبالغة عن طريق علاقـة التقابل. فقد أدى المعنى بشكلٍ أفضل مما لو اعتمدَ علاقةً دلاليةً أخرى، وقد كان للتضاد بيـنَ لفظتي (ظاهر، وباطن) الأثرُ الواضحُ في إظهارِ المعنى الحقيقي للنص، فقد أجادَ الشـاعرُ في اسـتعمال علاقة التضاد؛ إذ ربطَ بيـنَ المعنى الظاهري لشـعره، وهو مدح آل بيت محمدٍ صلـوات الله عليهم، وبينَ المعنى الحقيقي والمخفي وهو الحمد والشكر على هذه النعمة.

ومما سَـبقَ يمكن القول: إنَّ لعلاقة التقابل القدرةَ الكبيرةَ في إيضاحِ المعاني المتعاكسة؛ إذ تُسهم إلى حدٍ كبيرٍ في تقويةِ المعنى وإثرائه وإكسابه فاعلية عميقة تجعل من المتلقي يتتبعُ مسـاراتِ هذا التقابل والوقوف على حدوده ومقاصده، ومن ثَمَّ يكون النصُ أكثرَ ترابطًا وتماسكًا وتقاربًا بين المرسِل والمتلقي[١].

المطلبُ الثاني: العلاقاتُ الإضافيةُ الرابطةُ:

وهي من العلاقات النصيّة الدلاليَّة، وتعني بوجهٍ عام إعادة معنى تعبير ما من خلال استعمال آخر في اللغة ذاتها[٢]، والغرضُ من هذه العلاقة تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته، وهو ما يقتربُ من المبالغة[٣]، وهي على نوعين:

١. علاقاتٌ إضافيةٌ متكافئة

٢. علاقاتٌ إضافيةٌ مختلفة

وسـيقتصر البحـثُ على العلاقـات الإضافيـة المتكافئـة؛ لأنَّ العلاقات الإضافية المختلفة تقتربُ كثيرًا مع علاقة التقابل التي أخذناها سابقًا.

(١) ينظر: استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشّي، لخميسي شرفي، بحث: ٢٧٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص: ١٣٥.

(٣) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٣٨.

العلاقاتُ الإضافيةُ المتكافئة:

تقـوم هذه العلاقات علـى تعبيرَيْن متشـابهيَنْ، فالعلاقةُ الدلاليَّـةُ بينهما؛ أي بين هذين التعبيرَيْن هي علاقةُ تكافؤ؛ إذ يقولان الشـيءَ نفسـه، ولكن في أشـكالٍ سـطحيةٍ مختلفةٍ، وقد أطلقَ على هذه العلاقة دي بوجراند مصطلح إعـادة الصياغة[1]، وتتجلى هذه العلاقة في التكرار المعنوي حينَ يكون على مستوى الجُمَل، نحو قولنا: (لا إله إلاّ الله) فهذا القولُ يتكافأ مع قولنا (وحده لا شـريك الله)، فهما تعبيرانِ متشـابهانِ في المعنى، وقد تكرر القولُ؛ لتقرير المعنى وإثباته[2]، وبرزتْ علاقةُ الإضافة المتكافئة في رائية الشـاعر حسـين بن مساعد وسيلةً من وسائل الترابط والانسجام النصي، ومن أمثلتها قوله:

هـم التينُ والـزيتـون هـم شافعو الـورى هـم الـسـادةُ الأطـهـارُ والـشـفـعُ والـوتـرُ
هـم مهبطُ الـوحـي الـشـريـف وهـم غـدًا سقاة الـزلال الـعـذب مَـنْ ضمه الحشرُ

لبيانِ مناقب آل البيت عليهم السلام يقومُ الشـاعرُ بتكـرار المعاني ذاتها في مجموعة مـن الأبيات؛ إذ يقول (هم التين والزيتون)، «والتينُ ظاهره الثمرةُ المشـهورةُ بهذا الاسـم، وهي ثمرةٌ يشبه شكلها شكل الكمثرى ذات قشرٍ لونه أزرق إلى السـواد، سـهلةُ التقشـير تحتوي على مثل وعاء أبيض في وسطه عسل طيّب الرائحة، وهي من أحسـنِ الثمار صورةً وطعمًا وسـهولةَ مضغٍ، فحالتُها دالة على دقة صنع الله، والزيتونُ أيضًا ظاهره الثمرةُ المشـهورةُ ذات الزيت الذي يُعتَصَر منها فيطعمه الناس ويسـتصبحون به، مع الإشـارةِ إلى نعمة خلق هذه الثمـرة النافعـة الصالحة التي تكفي النـاس حوائجَ طعامهـم وإضاءتهم»[3]،

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٢.
(٢) ينظر: محاضرات في نحو النص، محمد ياسين الشكري: ٨٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٠.

فبهذه الصفات التي تتميز بها هاتان الثمرتان شبه الشاعرُ آلَ بيت محمدٍ عليهم السلام، ثم كرر القولَ فيهم، فقال (هم شافعو الورى) وأعادَ المعنى بقوله: (هم سقاةُ الزلال العذب من ضمه الحشر)، و (هم السادة الأطهار والشفع والوتر)، ولعلَّ الشاعرَ يريد بتكرار هذه المعاني تثبيت مكانة أهل البيت عليهم السلام وإقرارها في نفس المتلقي.

ومن مصاديق هذه العلاقة أيضًا قوله:

فديتك ليتَ الدهرَ بعدك لم يكنْ ولا انعقدتْ سحب ولا قطر القطرُ
ولا طلعتْ شمسٌ ولا ذر شارقٌ ولا اخضرَّ نوارٌ ولا انفجرَ الفجرُ

يلحظ من البيتينْ السابقيَنْ أنَّهما مختلفانِ في المستوى السطحي، لكنهما متفقانِ في مستواهما العميق، فالبنيةُ الكبرى للنص هي إظهارُ شدة الحزن على المرثي، فالشاعرُ يفدي نفسه للمرثي ويستعمل أداة التمني (ليت)؛ إذ يتمنى أن ينتهي العمرُ بانتهاء حياة الإمام الحسين عليه السلام، بل يتمنى أنَّ هذا الكون لم يكن له وجود، فلا سحب موجودة ولا شمس طالعة ولا فجر يولد وقد كان لعلاقة الإضافة المتكافئة أثرٌ كبير في تكثيفِ معنى القضايا الصغرى والوصول بها إلى البنيةِ الكبرى للنص، والتأثير في المتلقي وبيان أهمية المرثي وشدة الحزن عليه[1]؛ لذا «فإنَّ المركَّباتِ المعاد صياغتها هي في الغالب محصّلاتُ عملياتٍ محددةٍ للمتكلم في الأساس: أوجه توسيع المعنى، وتكثيف المعنى، وإمكانات تشكيل التعبيرات»[2]، فبهذه العلاقة، وبهذا التكثيف في المعاني استطاع الشاعرُ أنْ يكشفَ البنيةَ الكبرى للنص، ويبين حزنَه وجزعه على الحسين عليه السلام، واستطاع بهذه العلاقة أنْ يثبّتَ أهمية المرثي وإقراره في نفس المتلقي.

(١) ينظر: التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء: ١٨٧.
(٢) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ١٣١.

الخاتمة

حاول البحثُ تحليلَ نصوصٍ مختارةٍ من القصيدةِ الرائية للشاعر حسين بن مساعد الحائري تحليلًا نصيًّا، محاولًا الكشف عن علاقاتِ الانسجام النصِّي، وخلصَ البحثُ إلى مجموعةٍ من النتائج أهمها:

١. يشكلُ الانسجام النصي ركنًا مهمًا في الدراسات الحديثة؛ إذ يبحثُ فيما وراء الجملة وصولًا إلى النصِ رابطًا المتلقي به.

٢. إنَّ وظيفةَ الإجمالِ والتفصيل في النصوص، تؤدِّي غرضًا تفسيريًّا من المرسِل ذاته؛ لكي يخرجُ المتلقي من دائرةِ التأويل والافتراض المنطقي والاحتمال الدلالي، وأمَّا الغرض الثاني فيتضمن ربط النصوص ربطًا متماسكًا، والوظيفةُ الثالثةُ هي التشويقُ للتفاصيل؛ للعناية والاهتمام بالعام، وتهيئة المخاطب للدخولِ في التفاصيل دون تشتيت ذهنه.

٣. علاقةُ السؤال والجواب علاقةٌ دلاليةٌ تعملُ على ربطِ الأحداث داخلَ النص، فتُسهِم في تماسكه وانسجامه، كما أنَّها من العلاقات التي تعتمدُ السياق والقضايا الاجتماعية في ربط النص.

٤. علاقةُ الشرط والجواب، من العلاقاتِ الدلاليةِ الاستدعائيةِ الأساسية المهمة في ربطِ أجزاءِ النص بعضها ببعضها الآخر، تعمل على تماسك عناصر النص؛ من خلال ربط الجُمل فيما بينها الأمرُ الذي يشكِّل عناقيد من الدلالات، ويسهمُ في ترابطِ النصوص ودوام استمراريتها.

٥. علاقةُ التقابل (التضاد) الأكثرُ حضورًا في نصوصِ القصيدة؛ إذ وردتْ تقريبًا في أغلبِ أبيات القصيدة، ولعلَّ الشاعرَ استعمل هذه العلاقة؛ لإظهار مدى الحزن والألم لمصاب الإمام الحسين عليه السلام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب: جاسم علي جاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

٢. أدب الطف، أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر: جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٨م.

٣. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات – بيروت، (د ط)، (د ت).

٤. أمل الآمل، محمد بن الحسن (الحر العاملي)، تح: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٣٨٥هـ.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٦. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٧. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، د. ط، ١٩٨٤م.

٨. تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات: محمد محمد يونس علي، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦م.

٩. التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٠. التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء: إبراهيم محمد عبد الله مفتاح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

١١. خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدِّين علي بن عبد الله الحموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٢. دلالات التراكيب دراسة بلاغية: محمد محمد أبو موسى،دار التضامن، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

١٣. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٤. العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

١٥. العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

١٦. علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٧. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨. الفصل والوصل في القرآن الكريم: منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٢، د ت.

١٩. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٠. لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي: عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.

٢١. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١ م.

٢٢. لسانيات النص النظرية والتطبيق (مقامات الهمذاني أنموذجا): ليندة قيَّاس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٣. مجالي اللطف بأرض الطف، محمد بن طاهر السماوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

٢٤. محاضرات في نحو النص: محمد ياسين شكري، دار أمل الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.

٢٥. مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): زتسيسلاف واورزنياك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم بن محمد بن حسن القرطاجنّي (ت٦٨٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، د.ت.

٢٧. منية الراغبين في طبقات النسّابين: عبد الرزاق كمونة الحسيني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، د ط، د ت.

٢٨. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٩. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٣٠. نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا): الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٣١. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: حسام أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

الرسائل والأطاريح:

١. آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص: كاظم داخل جبير، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، ٢٠١٩م.

٢. أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبيوية لأحمد شوقي، سوداني عبد الحق، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، ٢٠٠٩م.

٣. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دراسة في ضوء لسانيات النص، منتهى مجيد عجيل، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة ذي قار ٢٠١٤م.

البحوث المنشورة:

١. استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشّي، لخميسي شرفي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد السابع، ٢٠١١م.

٢. السيد حسين بن مساعد الحائري، د. سلمان هادي آل طعمة، مجلة ينابيع، عدد ٦٤، ٢٠١٥م.

٣. شعر الحافظ رجب البرسي، (دراسة في الموضوع والبنية)، مها هلال، ونضال حسن، مجلة الخليج العربي، المجلد ٤٦، العدد (٣-٤)، ٢٠١٨م.